المحاضرة الثّانية عشرة: التّجديد في الشّعر العربي الحديث:

استمرّ التّجديد في الشّعر العربي عبر مدارس وجماعات أثرت في المشهد الأدبي بدرجات متفاوتة، أهمها: مدرسة الدّيوان، الجماعات الأدبية بالمهجر، جماعة أبولو.

I. مدرسة الدّيوان:

تزعمت مدرسة الدّيوان حركة التّجديد في الشّعر بعد المدرسة الإحيائية، وألحت في الدّعوة إليه، حيث قام أعلامها الثلاثة (عبد الرحمن شكري، عباس محمود العقاد، إبراهيم عبد القادر المازني) بدور كبير في خدمة النّهضة الشّعرية، وفي نشر حركة التّجديد في الشّعر العربي الحديث.

تسمت هذه المدرسة بـ"الدّيوان" نسبة إلى الكتاب النّقدي المشهور، الذي ألفه اثنان من هذه المدرسة وهما (العقاد والمازني)، وأصدراه في جزأين وبسطا فيه دعوتهما الجديدة، ونقدا فيه أنصار الاتّجاه الكلاسيكي، كما نقدا زميلهما الثالث، عبد الرحمن شكري.

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة في السّاحة الأدبية في مصر وفي العالم العربي، وكان له تأثيره على شوقي والمنفلوطي، وغيرهما، وغير النّظرة إلى عمود الشّعر، وعلى الرغم من أن عبد الرحمن شكري فارق زميليه وتركهما وحدهما في الميدان، بعد توقفه عن الشّعر عقب نشر دواوينه السّبعة، إلا أنه يعد رائد هذه المدرسة الأول، وإمامها الذي اقتدت به.

ذكر العقاد في كتابه (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) أن ثقافة مدرسة شعراء الدّيوان كانت تتناول كل الثقافات العالمية، عن طريق الأدب الانجليزي، وأنها استفادت من النّقد الإنجليزي فوق استفادتها من الشّعر، كما أكّد في كتبه ومقالاته، أن مدرسة الدّيوان هي أول حركة تجديدية في الشّعر الحديث.

- الأسس التي قامت عليها مدرسة الديوان:

1. مفهوم الشّعر عند مدرسة الدّيوان.

بين العقاد مفهومه للشعر بالقول: "... **كلّ ما نخلع عليه من إحساسنا، ونقبض عليه من خيالنّا، ونتخلّله بوعينا، ونبثّ فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا، هو شعر، وموضوع للشّعر.**"[1]

وفي نفس السّياق عبّر المازني عن مفهومه للشّعر فقال: " **إنّه فنّ ذهني غرضه العاطفة، وأداؤه الخيال أو الخواطر المتّصلة التي توجهها العاطفة وجهتها.**"

وعليه فإنّ الشّعر في مفهوم هذه الجماعة هو تعبير عن الحياة كما يحسّها الشّاعر من خلال وجدانه، فليس منه شعر المناسبات، والمجاملات، ولا شعر الوصف الخالي من الشّعور، ولا شعر الذين ينظرون إلى الخلف ويعيشون في ظلال القديم، ويعارضون القدماء عجزا عن التّجديد والابتكار، إنّما الشّعر الجيد هو ذلك الذي يعبّر به عن ذواتنا وعواطفنا.

2. أهداف مدرسة الدّيوان.

دعا أعلام الدّيوان إلى التّمرد على الأساليب القديمة المتبعة في الشّعر العربي سواء في الشّكل أو المضمون، أو البناء، أو اللّغة، وقد حدّد العقاد أهداف المدرسة بالقول: "**وأوجز ما نصف به عملنا إن أفلحنا فيه أنه إقامة حدّ بين عهدين لم يبق ما يسوغ اتصالهما والاختلاط بينهما، وأقرب ما نميزّبه مذهبنا أنه مذهب إنساني مصري عربي.** "

3. الشّكل الفني للقصيدة:

اعتُبرتْ القصيدة كائناً حياً، أجزاؤه متلاحمة، ولكل جزء من أجزائه وظيفةٌ ومكانٌ محدد، وسعا أعضاء الدّيوان إلى تحقيق هذه الوحدة العضوية في شعرهم. ورغم أنّهم قد وحّدوا موضوع القصيدة وجعلوا كل الأبيات تخدم الموضوع، ووحّدوا الجو العاطفي لقصائدهم، إلّا أنّهم لم يستطيعوا-في كثير من الأحيان-تحقيق هذه الوحدة العضوية المنشودة.

4. **اتجاه المدرسة.**

سعيا إلى تجديد الشّعر، رسم أعضاء المدرسة اتّجاها فرضته ظروفهم الاجتماعية والأدبية المعيشة (ومنها: انتشار النّموذج الشّعري التّقليدي، الاستعمار، الجهل، الفقر...)، وبسبب ما واجهوه من واقعٍ أليمٍ لم يستطيعوا تغييره، فإنّ شعرهم أخذ منحى الهروب من عالم الواقع إلى عالم الأحلام. وكذا الفرار إلى الطبيعة ليبثوا لها آمالهم الضّائعة، إضافة إلى التّأمل في الكون والتّعمق في أسرار الوجود.

5. **منهج المدرسة.**

نهجت مدرسة الدّيوان النّهج الرومنسي في شعرها، واتّسمت بـ:

- الدّعوة إلى التّجديد الشّعري في الموضوعات.
- الاستعانة بمدرسة التّحليل النّفسي.
- الاتجاه إلى الشّعر الوجداني.
- الاطلاع على الشّعر العربي القديم، ورغم ذلك فإنّهم لم يتخذوا النّماذج العربية القديمة نموذجاً، فلم يتمثلوا معانيها ولا صورها، ولكن استفادوا من الأدب الغربي، واتخذوه نموذجا لهم (ولاسيما الإنجليزي منه).
- اهتمّوا ببناء قصائدهم، ولا سيما البناء الفكري، (وإن تسبّب ذلك في عدم الرونق في الصياغة والأسلوب، والبرودة في شعرهم بسبب اهتمامهم بالبحث عن جوهر الفكرة).
- لم يهتموا بالبيان البلاغي، ولذا جاء أسلوبهم سهلا قريبا.
- حاولوا تحقيق الوحدة العضوية في القصيدة، وجعلها بناء واحدا حيا.
- ظهر عندهم تنويع الأوزان والقوافي (الشّعر المرسل، وشعر المقطوعات...).
- امتزجت العاطفة بالذّهنية في شعرهم؛ مما ولّد الأسى والمرارة والتّمرد.
- كتبوا الشّعر المرسل (كما عند العقاد)، ولم يخوضوا في الشّعر المسرحي، وإنما توقفوا عند القصة في القصيدة (كما نجد هذا عند خليل مطران).
- اعتمدوا الذّهنية والعقل في كتابتهم الشّعر؛ ونتيجة لذلك ظهرت عندهم المخالفات الدّينية، ومخالفة العادات والتّقاليد، وظهر الحزن والقلق في أشعارهم... [2]

II. الشّعر المهجري.

1. نشأة الأدب المهجري:

نشأ الشّعر المهجري في الأمريكتين الشّمالية والجنوبية، بين أبناء الجاليات العربية التي نزحت من بلاد الشّام في أواخر القرن التّاسع عشر، لأسباب اقتصادية وسياسية، وكان العديد منهم مثقفين بثقافة واسعة؛ وانقسم هذا الشّعر إلى مجموعات شعرية، أهمها: الرّابطة القلمية (بأمريكا الشّمالية)، والعصبة الأندلسية (بأمريكا الجنوبية)، ولكلّ جماعة شعرية خصائصها المميزة، رغم التّشابه بينهما في الاتّجاه العام (الاتجاه الوجداني)، وفي مفهومهما للشّعر وخصائصه.

أ- الرابطة القلمية.

تكونت هذه الرّابطة في الولايات المتحدة الامريكية سنة 1920م، برئاسة جبران خليل جبران، واستمرت حتى سنة1913م؛ ومن أهم أعلامها: ميخائيل نعيمة إيليا أبو ماضي، رشيد أيوب، عبد المسيح حداد، نسيب عريضة... وكان أدباء الرابطة أبعد أثراً من أدباء العصبة، وأكثر حداثة في اتجاهاتهم، وصدر عن أدباء الرابطة القلمية جريدة (السّائح) التي كان يملكها عبد المسيح حداد.

ب- العصبة الأندلسية

تأسّست العصبة سنة 1932م، وكانت تتألف عند تأسيسها من: ميشيل معلوف رئيساً، وداود شكور، ونظير زيتون، وحبيب مسعود، وشكر الله الجر؛ ثم انضمّ إليها نخبة من أشهر الأدباء، وهم: شفيق معلوف، القروي (رشيد سليم الخوري)، إلياس فرحات، ومن النّساء: سلمى الصّايغ. وظل أكثر شعراء العصبة يسيرون على سنن المحافظين في الشّرق، وكانت جل آثارهم في الشّعر. وقد أصدرت العصبة الأندلسية (مجلة العصبة).

وممّا يُلفت إليه هو أنّ هناك من الأدباء المهجريين البارزين الذين لم ينتموا لا إلى الرابطة، ولا إلى العصبة، ومنهم في المهجر الشّمالي: أمين الرّيحاني، ونعمة الحاج، ومسعود سلامة، والمؤرخ فيليب حتي، وغيرهم... وأمّا في المهجر الجنوبي، فنجد: إلياس طعمة (أبو الفضل الوليد)، وقيصر المعلوف (الذي أنشأ في مطلع القرن العشرين ندوة أدبية دعاها رواق المعري).

2. خصائص الشّعر المهجري.

- التّحرر من كثير من قيود الشّعر القديمة (كالوزن، والقافية).
- الجمع بين روحانية الشّرق ورومانتيكية الغرب.

- بروز الذاتية في الشّعر المهجري.

- الحنين إلى الوطن (ومثاله ما نجد في شعر القروي).

- النّزعة التّأملية في شعرهم، وهذه المزية من أبرز ما يوصف به أدباء الرابطة القلمية، كما نلاحظ في عناوين بعض مؤلفاتهم كالأرض، والمجنون، والموكب، لجبران، وهمس الجفون، لميخائيل نعيمة، والطلاسم، لأبي ماضي.

- النّزعة الإنسانية، التي تحاول أن تلغي الحدود والفوارق بين البشر، كما عبّرت عن ذلك قصائد إيليا أبي ماضي.

- حب الطبيعة، التي شُخِّصت في شعرهم، حيث يرونها حية، تحب وتكره، وتفرح، وتحزن، فتشاركهم مشاعرهم وأحاسيسهم.

- البساطة في التّعبير، فقد رسخ في شعر المهجريين أن الشّعر فن الحياة لا تكلف فيه ولا تعقيد، وعدُّوا البساطة والرّقة والغنائية، عماد الجمال في الشّعر والفن، ولذلك ابتعدوا عن الفخامة والجزالة واقتربوا كثيرا من البساطة، والعذوبة.

- كانت قضية التّحرر اللّغوي (التّحرر من نحو اللّغة وصرفها) من أهم القضايا الفنية لدى المهجريين، فقد دعا جبران خليل جبران إلى هدم العربية الفصحى وإحياء العاميات.

- دعا بعض شعراء المهجر (خاصة من شعراء الرابطة) إلى التّمرّد على موسيقى الشّعر وأوزانه المألوفة، وكان شعراء المهجر الجنوبي أكثر تحفظا من زملائهم في الشّمال، كما أنهم كانوا أكثر محافظة وغيرة على لغتهم، وأقل جموحاً فيما يتعلق بالتّجديد الوزني والأسلوبي.

- تباين شعراء المهجر الشّمالي عن الجنوبي، فقد كان شعراء الشّمال أكثر ميلا إلى التّجديد، في حين كان شعراء الجنوب معتدين بانتمائهم العربي، وبدا ذلك من تسمية جماعتهم.

- اتّسم الشّعر المهجري-في أغلبه-بالمسحة الرومانسية، ولا سيما في رؤيته، غير أن التّقرير والحكمة وما إلى ذلك من سمات الاتباع، تبدو جلية في بعض أشعار العصبة الأندلسية.

III. جماعة أبوللو:

جماعة أبوللو هيئة أدبية جديدة، أعلن ميلادها في القاهرة الشّاعر المصري د. أحمد زكي أبو شادي (1892-1955م) في سبتمبر سنة 1932م، وسمّاها "جماعة أبوللو" وجعل مركزها القاهرة، وهي تجمع طائفة من أعلام الأدباء، والشّعراء والنّقّاد، من أمثال: خليل مطران، أحمد شوقي، إبراهيم ناجي، أحمد زكي أبو شادي، محمود حسن إسماعيل، حسن كامل الصيرفي، ومن الأدباء الشّباب، آنذاك: أحمد محرم، إبراهيم ناجي، علي محمود طه، كامل الكيلاني، أحمد ضيف، وعلي العناني، وأحمد الشّايب، ومحمود أبو الوفا، أبو القاسم الشّابي، وغيرهم. وتولى أبو شادي أمانة سر هذه الهيئة بصفة دائمة، واختير أمير الشّعراء (أحمد شوقي) أوّل رئيسٍ لها.

وفي يوم الاثنين العاشر من أكتوبر عام 1932م عقدت الجلسة الأولى لهذه الجماعة برئاسة شوقي في داره بالجيزة (كرمة ابن هاني)، لوضع الأسس العامة لنظامها الإداري والأدبي، ولم يعش "شوقي" بعد ذلك إلا أيامًا معدودات ففي فجر يوم الجمعة الرابع عشر من أكتوبر سنة 1932م توفي شوقي. وقد اختار أعضاء الجماعة الشّاعر خليل مطران رئيسًا للهيئة وكان أحمد محرم، وإبراهيم ناجي وكيلين لها، وكانت عضوية الجماعة مفتوحة في مصر وجميع الأقطار العربية للشعراء والأدباء ومحبي الأدب عامة.

وقد اختلف الدّارسون حول توجهات جماعة أبوللو، وهل يشكلون مذهبًا ومدرسة أدبية؛ أم هم جمعية أدبية؟ فرأى فريق أن جماعة أبوللو لا تمثل اتجاهًا موحدًا فشعراؤها خليط من الإحيائيين والرومانسيين، ومن المجددين والمقلدين بدليل إسناد رئاستها إلى أحمد شوقي، ويمثل هذا الفريق الدّكتور شوقي ضيف.

وفريق ثان على رأسه عبد العزيز الدّسوقي يرى أن شعراء هذه الجماعة تميزوا بخصائص موحدة واتخذوا طابعًا مميزًا لهم، ولكنه يستدرك على ذلك مشيرًا إلى افتقادهم للأسس الفلسفية الجامعة.

- **أسباب نشأة جماعة أبوللو:**

كان لظهور هذه الجماعة أسباب متعددة منها:

1- فساد الحياة السّياسية آنذاك، ممّا أدى إلى فساد الحياة الأدبية، وتشتّت الشّعراء.

2- سيطرة التّقليد، ولاسيما بعد تشتت شعراء مدرسة الدّيوان والاختلاف فيما بين أعضائها (اعتزال شكري الحياة الأدبية، وانصراف المازني إلى النّثر). فأصبح من الضّرورة تكوين جماعة تملأ هذا الفراغ الشّعري.

- أهداف الجماعة.

تضع الجماعة التّجديد في الشّعر العربي هدفا لها، ولكن النّاظر إلى واقع الجماعة، وشعر شعرائها، يتبيّن له أن الجماعة لها توجه فني خاص يتمثل في الرومانسية؛ ثم إنّ المتمعّن في دستور الجماعة يمكنه تحديد توجّهاتها، والغاية من تكوين الجماعة، وهي:

1- السّمو بالشّعر وتوجيه الشّعراء أدبيًا واجتماعيًا.

2- ترقية مستوى الشّعراء أدبيًا واجتماعيًا وماديًا والدّفاع عن مصالحهم وكرامتهم.

3- مناصرة النّهضات الفنية في عالم الشّعر.

- الخصائص الفنية الأسلوبية لشعراء أبوللو:

مثلت جماعة أبوللو مرحلة ازدهار الرومانسية في الشّعر العربي المعاصر، بغض النّظر عن مجموعة الشّعراء المحافظين الذين كانوا ينتمون من النّاحية التّنظيمية والاجتماعية إليها، ويشاركونها همّ التّجديد، والأبعاد الإنسانية الإصلاحية. ويختلفون عنها في توجهاتهم الفنيّة. فمعظم هؤلاء الشّعراء قد توفوا في وقت مبكر، وبعضهم الآخر انفض عن الجماعة.

- السّمات الفنية لجماعة أبوللو:

1- النّزعة الوجدانية الغالبة على أشعارهم.

2- شغف شعرهم بالطبيعة كشعراء المهجر، والرومانسيين.

3- غلبة الشّعر المرسل ونبذ القافية، ولاسيما في الشّعر المسرحي.

4- التّعبير عن عاطفة الحب والارتقاء بها إلى التّطهير.

5- غلبة الحزن والكآبة على أشعارهم (النزعة الرومانسية).

6- التّعبير عاطفيًا عن المرحلة التّاريخية التي يعيشونها.

7- خيبة أملهم بالمرأة مع أنها معادل للحياة عندهم.

8- يكتسب الليل عند بعضهم أبعادًا عميقة رحبة.